المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي: رواية جاهلية لليلى الجهني أنموذجا: دراسة سيميائية
المصدر:	مجلة كلية دار العلوم
الناشر:	جامعة القاهرة - كلية دار العلوم
المؤلف الرئيسي:	الغامدي، حنان عبدالله سحيم
المجلد/العدد:	ع88
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	فبراير
الصفحات:	331 - 363
رقم MD:	800419
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	التحليل السيميائي، التحليل الروائي، الجهني، ليلى، تحليل الخطاب الشعري، التشاكل الروائي، الدلالة اللغوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/800419

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الغامدي، حنان عبدالله سحيم. (2016). التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي: رواية جاهلية لليلى الجهني أنموذجا: دراسة سيميائية.مجلة كلية دار العلوم، ع88، 331 - 363. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/800419

إسلوب MLA

الغامدي، حنان عبدالله سحيم. "التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي: رواية جاهلية لليلى الجهني أنموذجا: دراسة سيميائية."مجلة كلية دار العلومع88 (2016): 331 - 363. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/800419

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي

رواية جاهلية لليلى الجهنى أنموذجًا

دراسة سيميائية

د. حنان عبد الله سحيم الغامدي(*)

لا تتطلع هذه الدراسة إلى تقديم ما درجت عليه الدراسات السيميائية من تنظير موسع للأدوات، وتأصيل للمفاهيم والنشأة والأعلام، وغير ذلك، فثمة دراسات قدمت معلومات متنوعة عن نشأة الدرس السيميـــائي وآلياته الذي لعبت الترجمة فيه دورا هاما؛ على الرغم مما أحدثته في المقابل من تشويش للقارئ نظرا لكثرة التفرعات والتنوع في المسميات؛ لذلك ستقتصر الدراسة في قراءة النص المراوغ الذي بين أيدينا على الإفادة من إحدى هذه الآليات السيميائية ألا وهي (التشاكل) دون إغفال بقية الأدوات كلما دعت إليها الضرورة الإجرائية للتحليل، أملا في إنجاز ممارسة نقدية تأويلية تسعى إلى كشف أغوار الرواية واستنطاق مسكوتها ، والإمســـاك بالمعنى، والوصول إليه بتأويلات شتى متجاوزين المعنى الأحادي إلى المعنى المتعدد عبر مسارات تأويلية .

إن هذه الدراسة ستحاول الإفادة من مقولات غريماس، وراستي، وكورتيس، ومن سار على نهجهم في مسألة التأويل السيميائي؛ لذلك ستشتغل وفق مفاهيم الوحدات المعجمية والمسارات التصويرية ،والأيقونات، والمربع

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز – فرع الفيصلية .

السيميائي ، والبرامج السردية، من أجل الوصول إلى قراءة سيميائية أولية غايتها اللحاق بالدلالة التى تبدو قلقة في النص ، مع توقعنا بوجود بعض الصعوبات في بلـــورة مفهوم واضح للتشاكل يخترق السيميائيات الغربية والعربية معا نظرا للمرجعيـــة العلمية للمصطلح (Isotopie) والمقتبسة من علوم الفيزيـــاء والكيمياء من جهة ، ولاقتران التشاكل بمصطلحات أخرى كالتباين والتناظر من جهة أخرى ،علاوة على قلة المراجـــــــع العربية التى اشتغلت بتوظيف(التشاكل) في الدرس العربي النقدي فلا نكاد نقف إلا على عدد قليل منها كدراسة الدكتور محمد مفتاح (تحليل الخطاب الشعري)، ودراسة الدكتور عبدالمجيد النوسي (التحليل السيميائي للخطاب الروائي)، ودراستى الدكتور محمد الداهي للتشاكل على روايتي (الغريق) لعبدالله العروي، و(ذات) لصنع الله إبراهيم .

أسال الله التوفيق والسداد في إنجاز المبتغى ...

مقاربة منهجية

اقتبس غريماس مصطلح (التشاكل) من حقلي الفيزياء والكيمياء وأخضعه رؤيته الخاصة التي منحته أبعاد معجمية ودلالية خاصة ، مستغلاً الدلالة فيزيائية كمؤشر على انتهاء المصطلح إلى حقول جديدة ، وبرزت جهوده في تشاكل على مستوى المحتوى في الخطاب السردي من خلال كتابه (علم الدلالة بنيوي) فربط بين التشاكل وتكرار المقومات السياقية، وأشار في عرضه إلى ن عناصر الخطاب قد تبدو لنا متناقضة ظاهرياً لكنها متشاكلة دلالياً، معتمداً ي توضيح رؤيته على مبدأ التوسع والتكثيف، أو التعريف والتخصيص.

ثم نقل غريماس المصطلح إلى مجال التحليل الدلالي على أساس التكرار ذي يمنح سلسلة الخطاب انسجاماً خاصة من خلال التشاكلات الدلالية الصوتية والعروضية والأسلوبية التى تمنحه تماسكاً قرائياً:

"يمكن بواسطة مفهوم التشاكل أن نبرز كيف أن كل النصوص تتحدد على ستويات دلالية منسجمة، وكيف أن المدلول العام لمجموعة دالة، عوض أن تمس بشكل قبلي يمكن أن يؤول بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي" (١)

فالتشاكل من خلال النص السابق يشير إلى توفر النصوص على آليات حقق الانسجام الدلالي نتيجة لاشتغال العناصر البنيوية في النص وتظافرها ، يشير الدكتور عبد المجيد النوسي في دراسته للمفهوم إلى مسألتين مهمتين مقومات السياقية ترتبط بتراكم المقومات السياقية ووحدات التمظهر ، فالتشاكل لى مستوى الخطاب-كما يرى- يتأسس بفعل التوارد الحشوي للمقولات دلالية والمقومات السياقية (Classemes) وهو المصطلح الذي يندرج عند(استي) في(علم الدلالة المصغر)، وعند المدرسة الأمريكية في (التحليل لمقومات) ، وعند غريماس في (التحليل المقوماتي)، وهو اتجاه يهتم بـــ "

تنظيم الوقائع اللغوية على المستوى الدلالي بتأسيس تمايزات اعتماداً على السمات المميزة. ويعتمد على جهاز من المفاهيم داخل مجال تحليل الخطاب ، ومن بين هذه المفاهيم التي صاغتها سيميوطيقيا السرد مفهوم المقوم (Sem)الذي يعد أصغر وحدة دلالية" (٢)

وهي نظرة قوبلت بالانتقاد " لأنها نظرة تبنى على تجاهل المقومات الإيحائية والتعدد المعنوي، وتجعل الجملة في سياقها الإجمالي أحادية الإحالة "(٣).

ثم وسع (راستي) من المفهوم ليشمل محوري التعبير والتأويل ، وكانت رؤيته تقوم على أن التشاكل مشروط بالقدرة التأويلية، باعتباره نتيجة للعلاقات بين المقومات ، ويطرح (التساوي) بين المقومات السياقية التى تضمن انسجام النص والخطاب ؛ وهذا التساوي ينبغي تحديده اعتماداً على استراتيجية معينة في التأويل؛ لذا يقترح أن يعطي التشاكل وظيفة تنظيم النص من حيث التوالد والاتساق، فالمقومات المتكررة غير ضرورية -لديه -لأنها ليست السبب الحقيقي للانسجام، وإنما وجود التشاكل منظماً للنص على مستوى نحو النص هو الذي يؤدي إلى تحقيق هذا الانسجام بين المقومات. (٤)

لذلك نجد (راستي) يوسع المصطلح أكثر حين يربط التشاكل بالمحتوى والدلالة التأويلية، و بإمكانية تحققه بتراكم الوحدات اللغوية إلى جانب المقومات السياقية. (٥)

لقد وسع (راستي) الوحدات بحيث تشمل " المقومات السياقية (المحددة عن طريق السياق) والوحدات اللغوية (مستوى العبارة) و(المقومات الخاصة) التي ترادف المقومات النووية عند غريماس" (٦)

وطبق (راستي) فكرة التشاكلات الأفقية والرأسية على قصيدة ما لا رمية "سلام"، [٧] وهي الفكرة التي يمكن توصيفها على أنها تنبع من وجهتين إحداهما دلالية والأخرى شكلية خلافاً لغريماس الذي قدم مفهومه على أساس دلالي، ولعل طبيعة الدراستين التي طبقا عليها المفهوم افضتا إلى ذلك الاختلاف، فدراسة (راستي) تمت على الشعر، أما (غريماس) فكانت دراسته للتشاكل في مجال السرد والحكاية.

التشاكل عند جورج كورتيس:

يربط كورتيس التشاكل بتكرار الكلاسيمات، ويضمّن في كتابه (مدخل إلى السيميائية والسردية والخطابية) تعريف غريماس قائلاً بأن " المفهوم الأساسي للتشاكل يجب أن يفهم كـ "مجموعة متكررة من المقولات الدلالية = كلاسيمية، تجعل قراءة موحدة للحكاية ممكنة، مثلما تنتج عن قراءات جزئية للملفوظات، وعن حل ملابساتها، موجهة بالبحث عن قراءة موحدة. وبهذا المعنى تستطيع بسهولة – بفضل مفهوم التشاكل – أن تبين كيف أن نصوصاً كاملة تقع في مستويات دلالية متجانسة." [٨]

ويرفض من جهة أخرى التوسع الذي أبداه (راستي) فيقول "مع امتناعنا عن التوسع أكثر" [٩]. وهو بهذا يتفق مع المفهوم الذي سنّه غريماس للتشاكل، فلا يحيد عنه، أما جماعة مو (MU) فقد أضافت إلى رؤية (راستي) عناية خاصة بالجانب التركيبي المتمثل في سلامة القواعد من جهة أو مسألة الصدق في الأقوال من جهة أخرى، لذا حددت شرطين ضروريين للتشاكل ، وهما:

١- التراكم المعنوي لرفع إبهام القول ، وإزالة غموضه.

٢- مهمة القواعد التركيبية والمنطقية بما فيها من مساواة وجمل. [١٠]

ومن خلال العرض السابق لمفاهيم التشاكل عند نقاد السيميوطيقيا يمكننا استخلاص العناصر التالية كقاعدة تستقيم عليها هذه الدراسة:

١-يرتبط التشاكل بالتحليل الدلالي في سيميوطيقيا السرد للوصول إلى انسجام في الخطاب، مستنداً إلى مقومات سياقية وأخرى سيميولوجية.

٢-التشاكل كآلية ترتبط بالتراكم المتكرر من خلال قاعدة سياقية.

٣-التشاكل على المستوى التركيبي يمثل احتواء للوحدات المعجمية والمقومات السياقية المولدة للخطاب والمؤدية للانسجام.

٤-التشاكل كمفهوم إجرائي يرتبط بالتوالد بمراكمة مجموعة من الوحدات المعجمية تراكماً قسرياً أو اختيارياً في السياق، وتهدف إلى تحقيق تشاكل دلالي وفق الخطاطة التالية:

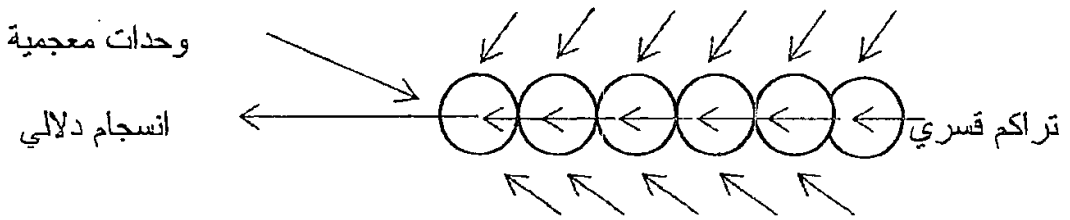

شكل(١) : خطاطة مسار التراكمات القسرية والاختيارية للتشاكل

٥-تحديد التشاكلات الدلالية يسعى إلى إبراز آلياته كخطاب من حيث الوحدات المعجمية التي تفضي إلى مسارات تصويرية تنتظم في تكوين الانسجام داخل الخطاب:

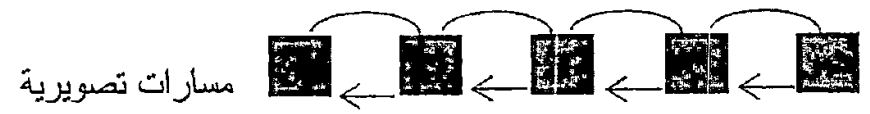

شكل (٢) خطاطة علاقة الوحدات المعجمية بالمسارات التصويرية

الخطاب الروائي نحو انسجام دلالي:

خضع مفهوم الخطاب (Discours) لتحديات عدة وفق المجالات التي وظف فيها، ووفق المنطلقات النظرية لهذه المجالات؛ لذا فحديثنا عن الخطاب هنا هو من وجهة نظر سيميوطيقية سردية، "تحدد معالمه من خلال إطار عام هو إطار المسار التوليدي للنظرية، والذي يتشكل من مستويات تتحول من مستوى عميق(المربع السيميائي) إلى مستوى سطحي (البرنامج العاملي)، وهذه الصيرورة للبنيتين تتخذ شكل التنظيم الخطابي (Organisatio discursive) بإدماج إجرائيات عملية القول". (١١)

والخطاب وفق هذه الرؤية وباعتباره دالاً يفسر طبيعة المسار التوليدي للنظرية التي تفترض تحليل الخطاب في جميع مكوناته وفق مسار توليدي يسير في مستويات:

- المستوى المورفولوجي
- المستوى السطحي
- المستوى الخطابي.

والخطاب وفق نظرية السيميوطيقية يمتح من هذه المستويات المتراكبة والمتعالقة في الوقت ذاته.

ويحدد الدكتور النوسي مفهوم الخطاب من منظور سيميوطيقيا السرد والتوافق مع المسار التوليدي لنظرية غريماس في خطوتين إجرائيتين:

١- "تحقيق الخطاب يتم من خلال (الصوغ الخطابي) الذي يتقارب في مفهومه الإجرائي من عملية القول عند بنفنيست (١٢).

٢-الصوغ الخطابي آلية تحول البنيات السيميائية – السردية في المستوى العميق والسطحي إلى بنيات خطابية". (١٣)

فالخطاب وفق التصور السابق للنوسي المتحول من بنية عميقة إلى أخرى سطحية هو خطاب سردي ينبغي أن يسعى إلى التجانس والانسجام بين مكوناته، وهو ما نحاول تجليته إجرائياً في هذه الدراسة.

التشاكل في رواية (جاهلية):

تمثل رواية (جاهلية) التجربة السردية الثانية للأديبة السعودية (ليلى الجهني) بعد تجربتها الأولى (الفردوس اليباب) وهي تجربة ثرية استجابت لأكثر من قراءة منهجية في تحليلها باعتبارها نصاً إبداعياً مفتوحاً. (١٤)

والرواية نثر واقعي ،قريبة من الحياة اليومية السعودية في المدينة المنورة التى تناثرت معالمها في الرواية، وظلت تفتح ذراعيها لكافة الأجناس والأعراق التي اختارت مجاورة قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم – وهو قرب أرخى سدوله على كل مكونات القص بما فيها اللغة ، التى لم تسقط الروائية عنها خاصيتها الفنية ضمن حدود (الإيهام المرجعي) كما عبر عنه ميشال ريفاتير، وتحفل الرواية بفضاءات لغوية متنوعة يمكن تصنيفها في شكل تشاكلات ذات كفايات وتجليات معجمية خاصة تسهل علينا الوصول إلى انسجام دلالي معبر عن الوضعية الاجتماعية واللغوية لمجتمع الرواية، ويمكن تمثل هذه التشاكلات ابتداءً فيما يقوم بين النص الروائي والسياقات الخارجية له، والممثلة في عتبات جيرار جينت وما بينها من تعالقات تقوم على التجاور أو التعارض مع الخطابات الهجينة التي تؤطرها، وتخترق حرمتها اتساقاً منسجماً ، أو تقويضاً متعمداً مشكّلا نصاً جديداً.

أ- التشاكل على مستوى العتبات أو المناصات:

تمثل العتبات مجموعة الخطابات المحيطة بالنص، والتي تمارس وظيفة مصاحبة كوسيط بين النص والقراء ، وتتبع أهميتها من كونها اقتصادات لغوية تستوجب فاعلية تلقي عالية.

وتعد عتبة العنوان أعلى اقتصاد لغوي يستوجب القراءة من خلال مستويين:

أولهما: ينظر إليه كبنية مستقلة لها استقلالها الدلالي الخاص.

وثانيها: يتوجه بهذه البنية نحو العمل، ويتشابك مع دلائله محفزاً لإنتاجيته الخاصة. (١٤)

وقد حدد جيرار جينت أربع وظائف للعنوان في دراسته، فهو" ذو **وظيفة تعيينية** تعطي الكتاب اسماً يميزه عن الكتب، ووظيفة تتعلق بمضمون الكتاب ، أو بنوعه، أو بهما معاً ، أو ترتبط بالمضمون ارتباطاً غامضاً، **ووظيفة تضمينية**، أو ذات قيمة تضمينية تتصل **بالوظيفة الوصفية**، وتتعلق بالطريقة أو الأسلوب الذي يعين العنوان به الكتاب، **ووظيفة إغرائية** تتصل بالوظيفة التضمينية وتسعى إلى إغراء القارئ باقتناء الكتاب أو بقراءته." (١٦)

والعنوان في (جاهلية) يؤدي دوراً بارزاً في الكشف عن مقاصد الساردة ، ويلج المتن الروائي ليجلي لنا حقيقة مجتمعها من خلال الإحالة إلى مجموعة من العلاقات والتشاكلات التي تقوم بين الرواية ومراجعها النصية.

فالعنوان ينقلنا إلى فضاءات تاريخية بعيدة تتداعي فيها الذاكرة لينفتح النص على زمان تاريخي ذي حمولة ثقافية وعقائدية ومعرفية واجتماعية.

فالجاهلية التي حاربها الإسلام، وأنكر على أصحابها وهذّب سلوكهم تتبعث من جديد بصور مختلفة، ونماذج حديثة تتناسب مع روح العصر لأعلى سبيل الخطاب العنواني للرواية فقط، وإنما يتناظر ذلك ويتوازى مع بقية خطابات الرواية السياسية والاجتماعية والثقافية التي تضعنا مع الجاهلية الجديدة وجهاً لوجه.

جاهلية ليلى الجهني كشفت عن وعي اجتماعي مخلخل يتشدق في مجالسه بأمر ويطبق خلافه !! يستحضر فضل بلال بن رباح ويحتقر الرجل الأسود في شارعه، يعلي من قيمة الذكر ولو كان نزقاً فاسداً على حساب الأنثى لأنها أنثى! يجعل من بعض نسائه نماذج مكررة للقهر والظلم والاستلاب.

لقد لعب هذا المصطلح دور البنية النصية الجوالة داخل نظام العلاقات الداخلية في متن الرواية، وبدت ملامح ذلك في العتبات الفرعية التي كانت إشارات زمانية تنتمي إلى تلك الجاهلية الغابرة، والتي لبست ثوبا جديداً من خلال تاريخ الفصول بأزمنة جاهلية (أياماً وشهوراً) يضاف إلى ذلك ما تجمعه الرواية في عنوانها من فضاءات زمنية ومكانية تحضر لتشكل متخيلا سرديّاً؛ لذا فالرواية ذات خصوصية اجتماعية، ومرجعية زمنية تنطلق خصوصيتها من خصوصية المآسي الاجتماعية التي تنقلها والمتعلقة بفضاءات العنف والرعب والنبذ لحقبة تاريخية بعيدة في ظاهرها، قريبة في واقعها.

إن الرواية وفق ذلك تضعنافي مواجهة مسارات داخلية تتسم بروح جاهلية، وأول هذه المسارات هو تشاكل الرواية مع عناوينها الفرعية، فنحن أمام ثمانية عناوين مفتوحة الفضاء لا تخرج عن الإطار العام للرواية تنبع من منبعه، وتتلون بلونه، وبقراءة متأنية تظهر العلاقة الوثيقة بين الأصل والفرع فهي بمثابة "الصوت الآخر للمؤلف في توجيه عملية تنظيم قراءة النص الروائي بطريقةغير مباشرة" (١٧).

يربك الفصل الأول أفق القارئ في بداية الرواية بتسميته (سماء تهوي) لنشعر بنذر الدمار والخراب من البداية ، يعقبها خطاب سياسي يرفع أفق التوقع إلى أنّنا في مواجهة رواية سياسية منذ الوهلة الأولى:

"يتوقع أن يعلن البيت الأبيض اليوم ، بأن العراق انتهك قرارات الأمم المتحدة التي تطالبه بكشف النقاب عن أسلحته للدمار الشامل حسبما أوضح مسؤولون كبار في الإدارة الأمريكية، وقال المسؤولون بأنه من المنتظر أن يبحث الرئيس الامريكي جورج بوش...." (١٨).

إن الاستهلاك الروائي بهذا العنوان المثير ، والمقتطف الإعلامي من المذياع حول الحرب الأمريكية على العراق يجعل الرؤية تتجه إلى تسييس الرواية خاصة أن الكاتبة تنتهج في تسمية فصول روايتها نسقاً واحداً يتجلى في تسمية معرفية يعقبها بعدة صفحات تأريخ جاهلي للأحداث في فصول الرواية الثمانية:

" سماء تهوى ⟸ مؤنس الخامس عشر من وعل من العام الثاني عشر بعد عاصفة الصحراء... وهكذا .

وتضمين التسمية لـ (عاصفة الصحراء) كتاريخ للأحداث في أعلى الصفحة يلقي بظلاله على الرواية في خطابها السياسي بحيث تضم هذه الحرب إلى صورة جديدة، من جاهليات القرن العشرين في حلتها الجديدة.

فإن ولجنا المتن الحكائي للرواية ، فالسماء هوت لأمر جلل:

"(هل مات؟)

ليلتها ، سمع في غمرة انفعاله صوتاً ما هزّه ، وعندما تأمل جسد مالك، وهو منطوٍ على الإسفلت الشاحب وحيداً ، أعزل ، مضروباً على غير توقع، أدرك أن ماء الأرض كلّه لن يغسله من الذنب الذي اقترفه .." (١٩).

ثم يستهل المتن الحكائي للرواية بالحديث عن هاشم أخي لين الذي ضرب بمساعدة (أيمن) حبيب أخته الزنجي حتى تكسرت ضلوعه، ثم بدأ في الندم بعد رؤيته لمالك بين الحياة والموت على الأسفلت، عندها ستهوى السماء ليس على العراق وحدها بفعل الحرب، بل وعلى هاشم: "كان قاسياً بقلب شيطان صغير ظل يقوده حتى أوصله إلى هذه الهاوية) التي ستقود أمه أيضاً إلى الموت كمداً عليه:

" إن مات ستموت أمه، لقد جعلت منه عمود حياتها، وما أن ينقصف حتى تهوي السماء فوق رأسها" (٢٠).

وبتأمل الوحدة المعجمية (ينقصف) نلحظ تقاطع خطاب الحكاية مع الخطاب السياسي فالقصف حدث ثابت في الخطابين ؛ سيهوى بالسماء ، لنشعر من هنا بالالتحام الكامل بين خطاب الحكي في الرواية، والخطاب السياسي الذي تمهد به (ليلي الجهني) لكل فصل من روايتها، والذي يؤكده الشهر الجاهلي (مؤنس).. بعد (عاصفه الصحراء) فإضافة (عاصفة الصحراء) لتأريخ تلك الكارثة يعزز الحضور القوى للحرب في الأحداث ، ثم يأتي الفصل الثاني في الرواية (ولم ير ملائكة قط) كخطاب مستل من خطاب الحكي عن مالك " انتظر طويلاً أن تأتي (الملائكة ، لكنها لم تأتِ.." (٢١) .

فمالك حين شعر بالظلام والبرد والوحدة المريعة أيقن بالنهاية، ويأتي المستهل السياسي في مطلع الفصل ليكشف زيف الدعاوي الأمريكية التي فضحتها وسائل الإعلام بتوثيقها نقل ٥٠ شاحنة أمريكية لمعدات عسكرية أمريكية من قاعدة تركية لثلاث مناطق كردية شمال العراق، فمالك هنا – يقابل العراق الذي بدا مستسلماً لم يحاك على ظهره من مؤامرات!

وفي الفصل الثالث (الصمت والموت) يتعزز التناظر بين الخطابين في الحديث عن السرية التي غلفت عمل الاستخبارات الأجنبية في العراق، وعن فترة الصمت القاتل الذي خيم على هاشم في طريقه لملاحقة مالك بعد رؤية أخته تنزل من سيارته، وهو يجوب شوارع المدينة، ليتحول (الصمت) إلى كائن ثقيل الظل يلازم هاشم، ويحيك معه مؤامرات الموت والتعذيب التي تحتاج إلى مساعد يسهم في تنفيذها ؛ ليأتي (أيمن) مسهماً في معركة الكرامة والثأر مع صديقه هاشم :

" ما عليك راح نأدّبه" (٢٢)

وهو التواطؤ الذي يتشاكل مع ما حصل بين الأمريكان والبريطانيين في العراق (راح نأدّبه).

ويستوقفنا فصل (رائحة الحزن) في الرواية ليفتح أمامنا وفق القراءات السابقة أفقاً للتأمل! فأي حزن تودُّ أن تؤطره (ليلى الجهني) في الخطاب السياسي ومقتطفها يتناول عجز الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العثور على أسلحة للدمار الشامل في العراق ليتكشف الخطاب مع استهلال خطاب الحكي:

"انكمشت لين داخل كرسيها وهي ترى كونها الذي سهرت على ترتيب تفاصيله كل ليلة ينهار أمام عينيها" (٢٣) .

فمالك ممدد على السرير بين الحياة والموت تتوسل إليه ألا يموت " إن أردت ألا تؤذيني فعليك ألا تموت " (٢٤) ورائحة الحزن تغمر ردهات المستشفى ،وتغمر يوم لين ، ومن ورائها يوم والدها " انتبهت إلى نبرة أبيها ، وعرفت أن القلق يكاد يفتك به... "

ليحضر الموت في هذا الفصل موازيا لصورة مالك:

" إنك تضايقين الميت" ، " أكان عليها أن تفكر فيه كجثة هامدة..." ، " رأت الموت مرات عديدة"، " كيف ظنت أن مالكاً كان سيتصل بها فقط كي يخبرها أنه سيموت اليوم أو غداً .. " ..الخ.

فرائحة الموت المنتشرة غلقت هذا الفصل، وجعلته مترعاً بالألم حتى نهايته : "أغمضت عينيها، لكن الظلام قد حل بروحها ... أدركت أن نوبة الشقيقة ستكون شديدة الوطأة هذه المرة، لكنها لن تكون أشد وطاة من الموت الذي جاء على غفلة"

ثم يطل (صك الغفران) كوثيقة توجب السلام على الأرض، ونحن نلمح الطلبة الأمريكيين على شاشة التلفاز ما بين مؤيد ومعارض للحرب ، وآخر مترقب لقرار انطلاقها، وهو ذات الصك الذي لم يظفر به مالك ، فالعراق لم يغفر له لذا ستنتهك أرضه، وكذا مالك لم يحصل على وثيقة النفوس السعودية لذا ستنتهك كرامته لأنه أعتلى السور المسيج:

.. أنا لا أحمل صكَّ غفران " [٢٥] ليعود الخطابان للتقاطع هنا:

"وعندما استطاعت أن تتبين شيئاً مما حولها رأتهم يتسلقون إلى غرفتها من كل مكان من تحت الباب، عبر النافذة ، من فتحة المكيف ، من خلال مكابس الكهرباء رأت كل أولئك الذين سيكتشفون عما قليل أنها ثقبت سياجهم الشفاف المقدس الذي نصبوه من دهور طويلة مضت بين الألوان والأجناس والأعراق كي لا تختلط فيحل الفساد في البر والبحر" [٢٦]

إن الفساد المدمر الذي ضرب الأرض في العراق هو ذاته الفساد المدمر الذي ضرب مجتمع الرواية بعد عودة مجتمعاتهم إلى جاهلية مقيتة..

وفي فصل (عطب) تأتي تصريحات عامر السعدي مستشار الرئيس العراقي السابق/ صدام حسين في المؤتمر الصحفي لتكشف الغطرسة الغربية

التي لم ترضخ لحقائق الأرض ، فعطبت ضمائرهم وأفكارهم المسمومة كعطب فكر المجتمع الذي خشي والد لين أن تواجهه ابنته:

" يا بنتي ، لا أقدر .. سيؤذونك ، ولن أحتمل ". (٢٧)

" أيقن أن الناس لن يدعوها سيمزقونها أمام عينيه ، ومن وراء ظهره فلديه ما يشبه اليقين أن الناس لن يكتفوا بالكلام ، بل سيحاولون أن يغيروا ما لا يروقهم". (٢٨).

وفي الفصل السابع (تحت اللون) يبرز التقاطع بصورة جلية بين الخطابين، فالعنصرية الأمريكية هي التي جعلت السيادة والهيمنة الأمريكية مطلقة في العالم.

وبحسب قول العقيد كينث غانت آمر كتيبة المدفعية التاسعة (ملوك المعارك)..

هؤلاء الملوك الذين يمثلون الصفوة المستبدة التي لا يثني قوتها شيء في مشارق الأرض ومغاربها متى ما رغبت:

"إننا مستعدون في أي وقت لاستخدام القوة ولدينا الجاهزية الكاملة لذلك "

هذا اللون الذي سحق في الجانب الآخر مالك ، وظل ملازماً لفكره كلما رأي لين:

" لم لا ترى عندما تنظر إلينا إلا اللون؟ " (٢٩)

غلف الإحباط نفس مالك بعد عجزه عن استخراج صك الغفران ، وهو ذات الإحباط الذي غزا نفسه حين استهجن شرطي المرور لبسه للثوب، واستكثره عليه وهو لا يملك هوية سعودية :

" ما شاء الله أو مشخص كمان كأنك واحد من عيال البلد ! هات الإقامة نشوف" (٣٠)

ولعنة اللون هي ذاتها التي سمحت للبائع الباكستاني العامل في البقالة أن يناديه بـــ: " يا أسود.." وهو يقولها بعفوية تامة.

لقد ظهر اللون لمالك هوية حيثما حل لكنها هوية معطوبة في المجتمع الذي يعيش فيه.

وذلك مرده كما تجيب الرواية:

" لان الناس هنا بألوانها وقبائلها وأجناسها وأعراقها وهو لم يشذ عن القاعدة ولم يستطع أن يفعل ذلك". (٣١).

ما تحت اللون يكشف لنا أصالة المشكلة التي لم يخفف الدين من وطأتها ، ولم يتخلص من لهيبها المجتمع: " كانت دناءة لونه شيئاً موغلاً في القدم بحيث يعجز الآن عن أن ينفيها، حتى لو تترس خلف ألف آية أو حديث، لذا كف عن أن يتألم"(٣٢)

ومن بداية هذا الفصل بدأت الرواية تدس في تلافيفها نصوصاً تراثية حول اللون كمفصل في علاقات المجتمع العربي قديماً، وهي رؤية متجانسة مع مجتمع الرواية على نحو ملحوظ للعنف والقوة في الجاهليات المعاصرة.

وفي الفصل الأخير (غوغل يهذي) تبرز لغة الفوضى والهذيان في كل مكن، فحرب الفوضى ضربت العراق، والانفجارات هزت بغداد، وصفارات الإنذار تدوي في كل مكان، والحرائق اندلعت على الأرض.. وكذلك ثورة الانترنت تهذي فوق رؤوسنا ليل نهار بالقديم والجديد، بالكذب والصدق.

"ضغطت على زر الـ Enter فانفتح الموقع ، وتراصفت الكلمات باستقامة حادة أمام عينيها .. ثمة أسماء أميتت في العربية الفصحى... " (٣٣)

وبالوصول إلى هذا الفصل تتكشف لنا كثير من الرموز التي استهلت بها فصول الرواية والتي أرخت أحداثها بهذه الأسماء الجاهلية للأيام : أهون وجبار ودُبار، ومؤنس وحربه ، وشيار ، وأسماء الشهور : المؤتمر ، ناجر ، خوّان، وبصان ، وعادل وعل ، ناتق ، رنة ، بُرك) (٣٤).

لقد أسهمت الشهور والأيام الجاهلية في حياكة نسيج الرواية ، وهي الحياكة التي بلغت أشدها في الفصل الأخير المعنون جاهليا بـ " شيار التاسع عشر من المؤتمر من عام حرب الصدمة والترويع " حين جعلت هذا الفصل المستهل بإعلان الحرب على العراق وحضارتها شهر المؤامرة العالمية على العراق ، خاصة بعد أن أضحت الحرب واقعا منظورا فتغير معرف التسمية من (عاصفة الصحراء في الفصول السابقة) إلى (حرب الصدمة والترويع) في الفصل الأخير من القصة والمأساة !.

لذا اكتملت لعبة الحكي المؤرخة بالرموز والأقنعة الجاهلية لتنتهي بانثيال المحكي السيكولوجي لليلى التي تدخل في حالة هذيان.

"تذكرت من يبكي علي فلم أجد/ خائبة/ هه هه هه .. "

ليختلط المأثور من القرآن الكريم، بأقوال العظماء ، والشعراء؛ فيحضر المتنبي وأبي ريشة، واللافت في هذيانها اقتباسها عبارات من الخطاب التاريخي الأخير لصدام حسين عند دخول القوات الأمريكية للعراق: " الله أكبر وليخسأ الخاسئون " وقوله" أطلق لها السيف لاخوف ولا وجل ... " وهذا البيت يتكرر في الرواية بصورة لافتة وكأنه يحيل صراحة إلى الخطاب الذي ظلت تواريه الكاتبة وتخفيه ؛ وليمارس العنوان من خلال متخيله السردي الشهادة التاريخية

للواقع العربي المتردي أخلاقياً ودينياً وسياسياً في تلك الحقبة وأثر ذلك على واقع العلاقات الاجتماعية الهشة، ويطرح في جانب أخر إشكالية المجتمع العاجز عن رسم منظومته الأخلاقية التي يحتكم إليها في حياته، فهو مجتمع عنصري في أخلاقه وعلاقات أبنائه، وعاجز عن استبصار مستقبله لذا يلوذ بالماضي في تبعيته ويعجز عن الفطام عنه حتى لو ثبت مخالفته للعقل والدين والأخلاق!.

علاقة العنوان بلوحة الغلاف:

لا تفصح صورة الغلاف عن ذاتها كشكل تصويري لموجود ما إلا بعد قراءة العنوان ، فالصورة "أشبه ما تكون برسم مبهم تقربنا خطوطه في عمومها بشكل ما، وهيئة ما لا تتبدى للملاحظ منذ الوهلة الأولى" (٣٥)

وغلاف الرواية يحوي أشكالاً هندسية مربعة بداخلها وجوه تتضح من خلالها ملامح جامدة ومكررة في الوجوه السبعة الأخرى، غير أن أحدها أكبر من الوجوه الأخرى التي تبرز غريبة الأطوار ،كما ترتسم أسفل هذه الوجوه دائرة كتبت حولها رموز كأنها طلاسم وتعاويذ بألفاظ غريبة ، فإذا نحن أمام فضاء كلامي يحاول أن يتواصل معنا، وإذا كنا نعي تماماً أن مسئولية هذا الفضاء تقع على عاتق الناشر إلا أنه وظف بطريقة معبرة كعلامات أيقونية للرواية ؛ لتحويل فضاء الغلاف إلى فضاء وظائفي ملحق بالنص يمكن استثماره جمالياً وإيديولوجيا متشاكلاً هنا مع المسارات العامة للرواية.

فبيئة الصحراء كست الغلاف لوناً صحراوياً فتدرج اللون البني بدرجتين قاتمتين وارتسمت وجوه ثمانية أصنام في إشارة إلى أصنام العرب في الجاهلية:

اللات/ العزى / أساف / نائلة / نسر /ودّ / سعد /وأتى أحدهما أكبر من البقية في إشارة إلى هبل (المصنوع من العقيق الأحمر) الذي أقاموه بجوار الكعبة حتى حطّمه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر.

أما الدوائر فتشير إلى توالي أشهر السنة الهجرية القديمة على نحو ما أوردها الأدريسي في دراسته الجغرافية، وبذلك يسهم الغلاف كأيقونة في وظيفته التضمينية معبراً عن النكوص إلى تلك الجاهلية من خلال شبكة الإيحاءات ،وبهذا تدخل عتبات (جاهلية) مع متنها في علاقات عمودية تكثيفاً ، وتشاكلاً دلالياً بشكل تتحضب معه الدلالات.

التشاكل وآليات الاشتغال:

حدد محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب الشعري) التشاكل على أنه "تنمية لنواة معنوية سلباً أو إيجاباً بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضماناً لانسجام الرسالة" (٣٦)

ورؤيته على هذا النحو لا تعدو كونها مزجاً بين رؤيتي غريماس وراستي اللتين سبق عرضهما إلا أنه لا يحصر التراكمات (القسرية والاختيارية) في المقومات السياقية عند غريماس ، ولا المعجمية كما عند (راستي) وإنما يضيف إلى ذلك عناصر صوتية وتركيبية وتداولية.

فالتراكم أهم الآليات التي يعتمد عليها (التشاكل) لانسجام خطابه سواءً كان قسرياً أو اختيارياً؛ وقد "ربط غريماس التراكم القسري بالبرنامج السردي المحدد بتوزيع الأدوار العاملية ، وبالمستوى الخطابي الذي يتعالق بتشاكل الخطاب العام والذي يفضي إلى تسلسل قسري لمجموعة من الوحدات المعجمية المتعالقة بالتشاكل الأفقي للخطاب" (٣٧)، مما يضمن انسجام النص واتساقه، وبهذا فنمو الخطاب وتراكمه يعتمد على تكوين المسارات التصويرية التي تشمل

المحور الأفقي للخطاب ،والذي يتكامل مع التراكم الاختياري عن طريق الالتقاء بوحدات متقاربة. لذا فستبحث دراستنا التشاكل في الرواية وفق المقومات التالية:

الوحدات المعجمية ⟸ الأقوال السردية ⟸ المسارات التصورية.

وستحاول الباحثة تمثل ذلك في المسارات التصويرية منطلقة من إطارين:

- وحدات متشاكلة حول نواة معنوية نامية.
- تسلسل قسري أو اختياري تنتظم داخله الوحدات.

أ- تشاكل العنصرية:

نسعي من خلال مسارات التشاكل التالية إلى بيان العلاقات المتشاكلة التي تربط بين الوحدات المعجمية على المستوى العمودي داخل الرواية وذلك من خلال رصد النويات التي تتواتر قسرا أو طوعاً في مسارات مرتبطة بموضوع محور التشاكل.

فالمسار التصويري للعنصرية يتمثل في النواة (مالك) التي تستقطب عدد من الوحدات المعجمية (اللون – الهوية – العمل – المجتمع – الموت) هذه الوحدات الخطابية في الرواية تشير إلى حياة مالك في مجتمعه بدءاً من اسمه الذي يشير إلى (المملوك) وما يحيل إليه من إرث قديم من العبودية، مروراً بلونه الذي ظل عقدة ملازمة له منذ طفولته حين كان زميله في الدراسة يسأله عن مدى خجله من لون بشرته ، لينمو العار البيولوجي معه في المدرسة حين

كان يلام لتفوقه فهو يطمح فوق واقعه ، فيغدو اللون هوية خالصة تميزه عن القريب والبعيد.. فبائع البقالة يميزه عن بقية المشترين بسواده : " يا أسود ..

كان يقولها بعفوية تامة، بحيث لا يعود في وسعه أن يغضب منه أو منها، غافلاً عن نصلها الحاد: أن يكون اللون هويّة، بطاقة يعرفه الناس بها "

هذه الهوية ظلت تردد على مدار الرواية في صورة نعوت (الكور/ العبد/ التكروني / الكويحة)هذا اللون الذي مثل جرحاً لذاته:

" لم يحك لها عن اللون كثيراً .. هل ستفهمه إن قال لها إنّه قد كف– لطول ما تألم – عن أن ينظر إلى لونه ويتألم.." (٣٨)

لقد سار مجتمع الرواية ضد سواده ، فلم يقبل في الشارع ،ولا في المدرسة، ولا في الزواج خاصة أنه لا يملك (صك الغفران) الذي يمكن أن يجعل منه عنصراً مقبولاً اجتماعياً:

" في كل مرة كان السؤال فيها يدور عن الهوية ، لم يكن في جيب ثوبه أي من تلك الأوراق ... " (٣٩)

والزواج لمالك يستوجب الحذر لأن " الناس لن تنظر إلا لونه" .

ولن يغفر للين ولا لوالدها الموافقة على هذا الزواج لأن "الزواج في العرف القبلي من أشد الأشياء وضوحاً في التباين والتمايز بين القبائل العربية إلى درجة العصبية الممقوتة "(٤٠) فكيف إن خرج عن حدود تلك القبائل!

وهو الموقف الذي يتشاكل في الرواية مع موقف القضاة – في إحدى المحاكم – وهم يحاولون أن يثنوا فتاة عن الزواج بشاب أسود، ويعرضون المساعدة إن كان يهددها بشيء، فهم لا يقتنعون بطهارة العلاقة!

فالوحدات المعجمية المصورة لحياة مالك في مجتمعه وحدات تسلسلت قسراً من خلال تعالق خيوطها، وقد مكنت القراءة الجزئية لهذه الوحدات من توليد مجموعة من المقومات السياقية يمكن أن تكشف لنا قراءة متشاكلة منسجمة، يمثلها تشاكل اللون والعنصرية ، وهو ما يمكن استثماره في البرنامج السردي التالي:

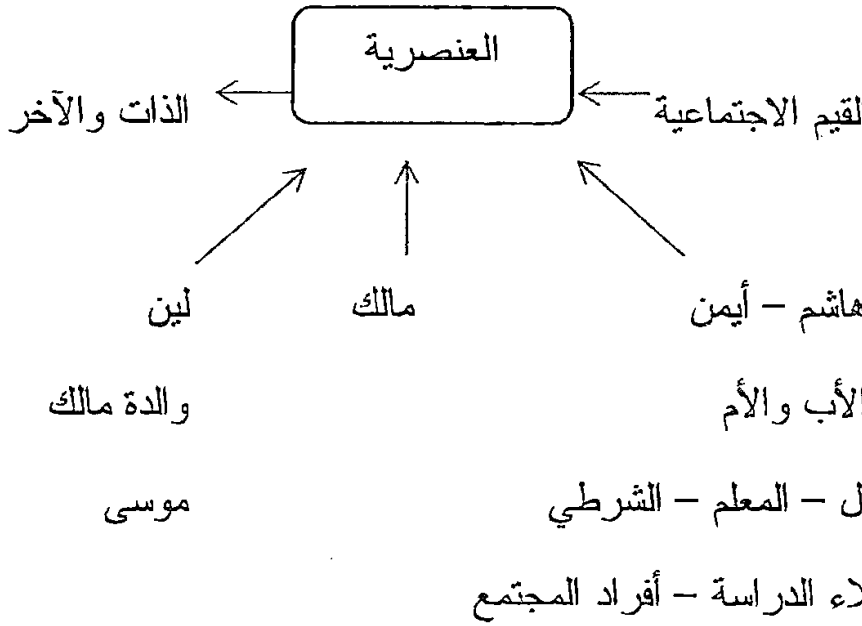

فالعنصرية مرض اجتماعي يعيق المجتمع عن البناء والتطور ، ويتناقض مع الحالة المدنية التي نتمثلها ظاهرياً ، لذلك تسعى أغلب الشخصيات في الرواية إلى تأصيلها كأرث يصعب الخلاص منه، فالأم لا تقوى على مواجهة المجتمع، والأب يضعف أمام الناس، وهاشم يلطخ بالعار، والمجتمع يتبرأ ممن يخترق الحواجز الشفافة ، وتظل لين تحاول الدفاع عن حبها مصارعة أهلها والمجتمع، ومطالبة بالعدالة الاجتماعية دون جدوى ليدفع مالك في النهاية حياته ثمناً لهذه المواجهة ، وهي عنصرية تبدت في الخطاب السياسي لحرب الخليج الثالثة حين انتصرت لغة الدم والحرب على إرادة السلام والأمان ، وغلبت

العنصرية الأمريكية على العراق تدميراً وقتلاً ، كما تقدمت في خطاب الرواية عنصرية مستأسدة على المجتمع.

ب- تشاكل الاستلاب والقهر:

تتميز الوحدات المعجمية لهذا المسار بالتراكم القسري الذي يجعل وحداته المعجمية تتراكم من نواة محورية تتمدد لتؤدي إلى قراءة موحدة ومتشاكلة للاستلاب ولنتأمل المسار التالي:

"عندما يضيع رجل عمره في الكتب فلن يلومه أحد .. ستكون الحياة بانتظاره دائماً كي يضيعها؛ لأن الرجل يصنع حياته، أما المرأة فلن تنتظرها وبإمكان الرجل مهما تأخر العمر أن يبدأ من جديد سيجد امرأة وسينجب أطفالاً حتى إن ظل ملتصقاً بكتبه . أما المرأة ! يا لعذاب المرأة." (٤١)

فالوحدة المعجمية التي يتميز بها هذا المقطع هي (يا لعذاب المرأة)، وهي تحيل إلى دلالة الاستلاب والقهر الذي يمارسه المجتمع على المرأة ، ويقر عليها عقوبة قاسية، ويتم تمطيط هذا المسار بمجموعة من الوحدات المعجمية:

(الكآبة – استرداد الروح – اللحظات الحادة في قلبها – العنوسة – الفراق).

كل هذه الوحدات رسخت عذاب المرأة (لين) التي عانت من تسلط أخيها، والذي حاول قتل من أحبت ، واستلب كثيرًا من حقوقها ، وهي حياة تتشاكل مع كثير من بنات جنسها؛ فمزنة ذات الخمسة عشر ربيعاً تزوج لعجوز يعنفها في علاقته بها، فتلوذ بدار الرعاية هرباً من الألم النفسي والبدني لتعاد مرة أخرى لجلاديها (الأب والزوج) ، وهو ما يتماثل مع حياة شرف التي أحرقت نفسها لأنها لا تستطيع الاقتران بزوج دون موافقة الوزارة وإذن ولي أمرها .. لأنها

أنثي ! فتصاب بخيبة أمل تقرر بعدها الهروب من المنزل " غادرت بيتاً عجزت عن أن أجد فيه لمحة من فهم.." [٤٢] لذا أحرقت نفسها في النهاية .

فالمسارات تتحدد في تشاكل الاستلاب من خلال البرنامج التالي:

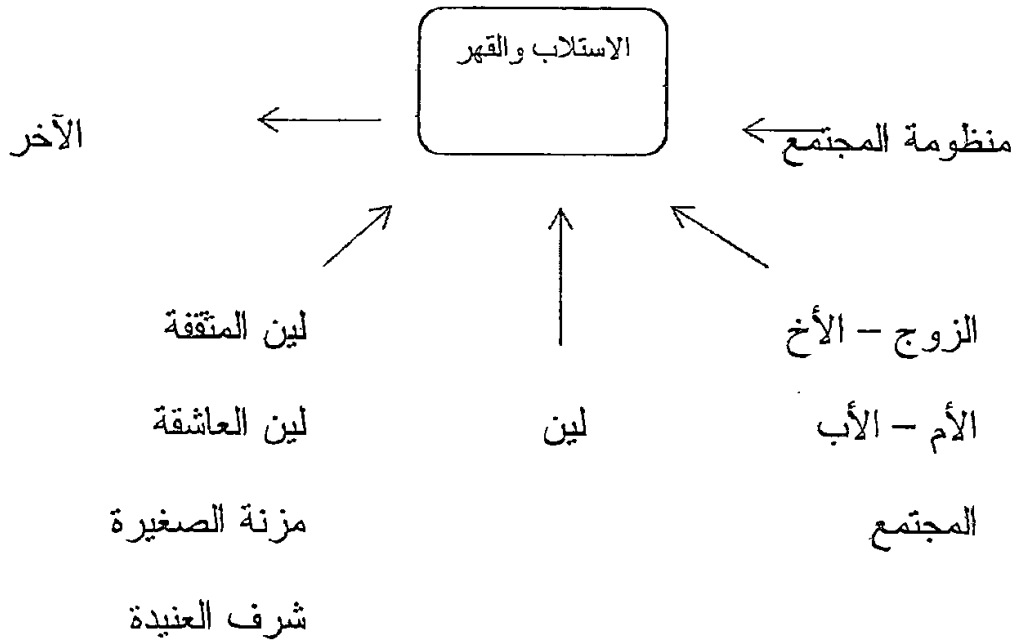

فالساردة تتولى النمذجة لمظاهر الاستلاب والقهر الممارسة ضد المرأة، لذا تلتزم أمام منظومة الحقوق الاجتماعية بتعرية الواقع المستلب للمرأة لعلمها بحقيقة المعاناة ،ويعينها في تعرية الصورة وصاية الأخ الصغير، وضعف الأب، وخذلان الأم، وجبروت الزوج، وغض المجتمع الطرف حول هذه المعاناة التي تمثلت في صور نمطية ليست لين ولا مزنة ولا شرف إلا نماذج لها، إن هذه الإرسالية التي تتمدد أفقياً في الرواية نلمح نماذجها اجتماعياً ممثلة في كل إحالة مشابهة، وتأتي المسارات التصويرية لهؤلاء النساء مستمرة تتمدد في المجتمع ما لم تسن القوانين التي تجرّمها.

ج- تشاكل الضياع:

تمثل المسارات التي تغذى هذا التشاكل داخل الرواية انعطافاً عميقاً في النص، فهو يمثل أزمة الثقة التي غلفت الرواية ، فالشباب لا يثق بنفسه لذا مني بخيبات متعددة حالت دون مواصلة دراسته، ودون تأهيل نفسه لمضمار الحياة، فالعطب الذي ضرب واقعهم وأعطب الرؤية للمستقبل تغذت أوصاله بالتدليل تارة، وبالحرية المزعومة أخرى، وبالممارسة العنصرية للأبناء داخل الأسرة ليشكل الضياع إطاراً عاماً يلم شتات النماذج التي تنمو داخل هذا الإطار ، وهو خطاب يتراكم قسريا بنماذجه التي تنتظم داخل المسارات متماشياً مع التحولات التى حدثت في المجتمع السعودي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، فتمثلت بعودة الماضي ملاذاً أمناً وفق ما يظهره البرنامج السردي التالي:

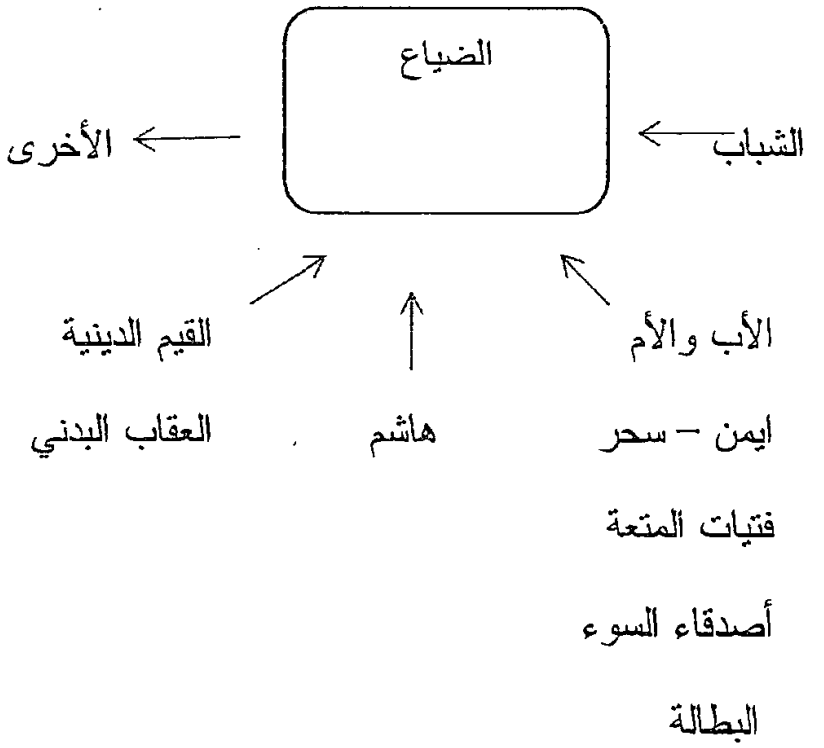

فالوحدات المعجمية لهذا البرنامج تتكاتف في تخصيب الدلالة للمسار ابتداءً من ذات (هاشم) وما تشير إليه الدلالة العلمية للاسم الذي تتهشم على يده القيم والأخلاق، ويساعده في رحلة الضياع أصدقاء السوء كأيمن،و بنات الهوى كسحر والفتيات العابرات في حياته، إضافة للبطالة التي تحضر في الرواية عاملاً لضياع كثير من الشخصيات ، فهاشم ظل يتنقل في ممارسة أعمال لم يتكيف معها ،وكذا حال الفتيات الضائعات اللاتي امتهن الأعمال المشينة ، وموسى الذي حاول الانتحار لعجزة عن مواجهة الحياة ،فتغذت إرسالية الضياع بهذه النماذج ، لتحضر القيم والمثل الدينية كرادع للنفوس ، وإلا فإن العقاب البدني من سجن وقصاص هو العلاج.

التشاكل بن النص الروائي ومحيطة الدلالي:

لا تهدف القراءة السيميائية للنصوص إلى استجلاء ظاهر العلاقات ، وإنما الولوج إلى عمق النص واستقراء علاقاته من خلال التأويل، وإبراز الرؤية القارة في أعماقه، وقد أشار غريماس إلى ثنائية التشاكل والتباين في دراسة النصوص عند حديثه عن المربع السيميائي الذي يشكل العلاقات بين وحدات النص، "وعلى الدارس السيميائي أن لا يكتفي – كما يقول غريماس – بعملية المزاوجة بين المفاهيم والقيام بإيجاد التعارضات الاستبدالية فقط، بل يجب عليه كذلك أن يقدم نموذجاً يسعى إلى الكشف عن منظومة المعنى"(٤٣)

وفي ضوء هذا التصور السيميائي فالمعاني في الرواية تتناسل وتتوالد لترسم لنا معالم البنية النصية الدلالية العامة، والتي يمكن تمثلها في الرواية من خلال المربع السيميائي التالي:

جاهلية حضارة

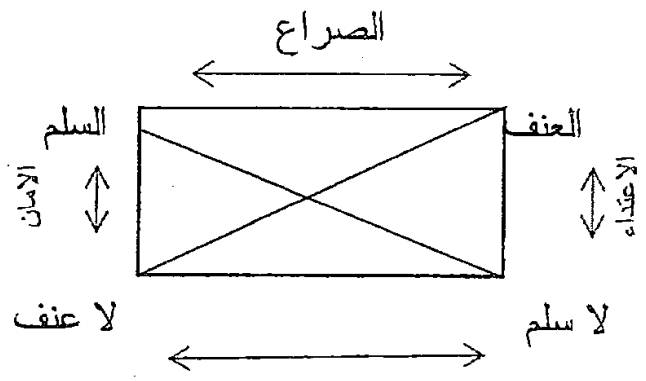

الوفاق

التنافر الانسجام

شكل (٣):المربع السيميائي لدلالة (جاهلية)

ويبين المربع السيميائي توزيع المعطي الدلالي العام للرواية في مجالين دلالين متناقضين بناءً على ما يؤسسه التضاد القائم بين العنف والسلم:

المجال الأول: يمثل العنف ومتضمنه الـ (لاسلم) وما ينشأ عن اجتماعهما من اعتداءات وهو مجال سلبي. ينطلق من عالم العنف الذي يتنافر أفراده على مستوى خطاب الحكاية (مالك – هاشم – أيمن – الأب – مزنة – زوج مزنة – شرف – أخو شرف – القاضي – موسى – أم مالك) وخطاب السياسة (القوات الأمريكية والبريطانية – العراق – الكويت – الوكالة الذرية –) وهو تنافر يتسم بطابع الاعتداء والاستلاب والقتل لا على مستوى الشخصيات فقط، وإنما انعكس أيضاً على الزمان والمكان؛ ففضاء المدينة الروحاني الساكن ينبذ العنف الذي تمثل على أرضه بمحاولة قتل مالك ، والاعتداءات المتكررة من هاشم على فتيات المتعة إضافة إلى كل الاعتداءات المعنوية التي تعرض لها مالك

وأخيه وكافة أبناء جلدته، وهي سلبيات برزت في أسمال جاهلية تمثلت في العنصرية واحتقار الآخرين والعنف والخيانة والظلم.

أما المجال الثاني: فهو المجال الذي يمثل السلم ومتضمنه الـ(لاحرب) وما ينشأ عن اجتماعهما من أمان وطمأنينة تؤدي إلى الانسجام بين أفراد المجتمع عند غلبة المحبة والتسامح بين أفراده، وهو مجال إيجابي يحمل طابع الحضارة والمدنية الأصيلة في ثقافتنا الإسلامية، فاللقاء بين المجالين (العنف والسلم) تمثل في صورة الاعتداء الذي شنته القوات الأمريكية والبريطانية على النظام العراقي ، ويجد نقيضه في حالة الدمار والخراب والتنافر الذي يمزق أرض العراق في الوقت الحاضر، كما يحضر في متن الرواية صراعاً بين قوى العدالة والمساواة، وروح العنصرية التي لم يكبح جماحها في المجتمع لا الدين ولا النظام نظراً لكونه مجتمعاً عشائرياً تحتفظ القبيلة فيه بمنزلتها ، وكأننا أمام حالة استرجاع لدور هذه القبيلة مرة أخرى هروباً من واقع لم ينسجم المجتمع معه على الرغم من مظاهر الحضارة المادية، فسيطرة العنف في نهاية الخلافات كأداة للحسم تمثل انتكاسا حقيقياً إلى المجتمعات البدائية التي يعجز العقل فيها عن الاستمرار والتأقلم مع واقعه ، وهذه هي الإشكالية التي تطرحها الرواية، وتدعو إلى إعادة بناء مجتمع تغلب فيه قيم المحبة والتسامح بين كافة أفراده.

* *

تركيب وخلاصة :

وهكذا فإن رواية (جاهلية)تنبذ العنف والعنصرية ،وتدعو إلى إعادة هيكلة البنية الاجتماعية بما يتوافق مع الأفكار والمعتقدات المعتدلة في نظرتها للإنسان ذكرا أو أنثى، فالرواية ذات نسق قيمي تدعو إلى تمثل فلسفة المثل العليا والفضائل الاجتماعية من جهة ، وتنتقد أيديولوجيا الصراع والإقصاء والعنف والتهميش من جهة أخرى .

لقد أسهم التشاكل كآلية سيميائية في إثراء الدلالة من خلال تداعي المسارات التصويرية للعنصرية والاستلاب والضياع كثلاثة مسارات متشاكلة في الرواية اسهمت في الإحاطة بالدلالة الكلية ، والانتقال السلس من الجزء إلى الكل كما أسهمت في تحقيق الاتساق والانسجام بين الأجزاء وتحصيل آثار المعنى استقراء واستنباطا داخل الرواية.

إن حاجة الدرس النقدي إلى هذه الأدوات الإجرائية في قراءة النصوص بالغة في ظل عصر العولمة والفضاءات المفتوحة التى أتاحت الاتصال والتساقي الثقافي أكبر من أي وقت مضى، لذا تدعو الباحثة الدارسين إلى مواكبة المستجدات النقدية ومحاولة الإفادة من معطياتها لصبغ العملية النقدية والدراسات التحليلية بطابع العلمية ، كما تدعو في الوقت ذاته المهتمين بالترجمة الأدبية إلى تكثيف جهودهم في مجال الدراسات النقدية والأدبية نظرا لثراء الإرث العلمي في هذين المجالين من مجالات اللغة.

* *

الهوامش:

(١) Greimas (AJ), Courtes (J): Semiorique, dixtion naire vaisonne de la the orie du Langage op. cil.p.53

(٢) Greimas (aj). Semantique structural, op cit, p332

(٣) نوسي،عبد المجيد: التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، البنيات الخطابية التراكيب الدلالة ، ط(١)، (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع) ٢٠٠٢، ص٨٥.

(٤) Rastier (Francois).Semantraue interpret attire , Puj, 1987. P. 92

(٥) التحليل السيميائي للخطاب الروائي، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر دراسة د.صبري حافظ :تراكب السرد الروائي في مجلة الكلمة الإلكترونية،العدد ٢

(٨) كورتيس، جوزيف: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ط (١) (الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون) ٢٠٠٧م، ص٨١

(٩) المرجع السابق.

(١٠) المرجع السابق ،٨٨.

(١١) التحليل السيميائي للخطاب الروائي، مرجع سابق، ص٢٥.

(١٢) الصوغ الخطابي هو العملية التي تؤدي إلى تحقيق الخطاب بالاعتماد على القدرة السيميائية – السردية كما أن عملية القول تحقق الخطاب اعتماداً على اللسان.

الصوغ الخطابي تحويل البنيات السيميائي – السردية في المستوى العميق والسطحي إلى بنيات خطابية.

انظر للاستزادة ك التحليل السيمائي للخطاب الروائي ، مرجع سابق ص٢٧.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) انظر على سبيل التمثل:

- دراسة الدكتور سعد البازعي ،الاقتباسات المطلعية في رواية (جاهلية)،المجلة الثقافية للجزيرة ،العدد ١٩٩ ،٢١-٥-٢٠٠٧م.
- دراسة الدكتور حافظ صبري، تراكب السرد الروائي وكشف سواءات الواقع ، مجلة الكلمة الإلكترونية ،العدد ٣٢

- دراسة د. بهيجة مصري أدبي، دراسة اختيار مفهوم الطبقات النصية في رواية جاهلية ،مجلة الجماهير السورية ،العدد ١٣٤٧٣،٢٠١١م.

(١٥) الجزار، محمد فكري: العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي ط(١) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٨م، ص٦٨.

(١٦) الزيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، ط (بروت:مكتبة لبنان ناشرون) ٢٠٠٢م، ص٦٨.

(١٧) أشهبون ،عبد الملك: العنوان في الرواية العربية ، ط(١) (دمشق: محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع) ٢٠١١م، ص١٣٧.

(١٨) الجهني ،ليلي ، جاهلية ، ط(١) (بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع) ٢٠٠٧م، ص٥.

(١٩) المرجع السابق، ص٧

(٢٠) المرجع السابق، ص٨

(٢١) المرجع السابق، ص١٣

(٢٢) المرجع السابق، ص٢٨

(٢٣) المرجع السابق، ص٤٩

(٢٤) المرجع السابق، ص

(٢٥) المرجع السابق، ص١٠٦

(٢٦) المرجع السابق، ص١٠٤

(٢٧) المرجع السابق، ص١٢٣

(٢٨) المرجع السابق، ص١٢٥

(٢٩) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٣٠) المرجع السابق، ص١٤٠

(٣١) المرجع السابق، ص١٤٣

(٣٢) المرجع السابق، ص١٤٣

(٣٣) المرجع السابق، ص١٧٥

(٣٤) المرجع السابق، ص١٧٧

(٣٥) العنوان في الرواية العربية، مرجع سابق، ص١٤٦.

(٣٦) مفتاح ،محمد: تحليل الخطاب الشعري ، ط٢، (بيروت : المركز الثقافي العربي) ١٩٨٥م، ص٢٥.

(٣٧) المرجع السابق، ص١٠٦

(٣٨) جاهلية، مرجع سابق ، ص١٤١

(٣٩) المرجع السابق، ، ص١٤٠.

(٤٠) الغيثي ، شتيوي ، قشرة الحضارة إشكاليات الثقافة السعودية وتحولاتها ، ط١(لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام) ٢٠١١م، ص١٤٦.

(٤١) جاهلية، مرجع سابق، ص١١٤.

(٤٢) المرجع السابق، ص٨٥.

(٤٣) ربايعة ، موسى : آليات التأويل السيميائي ، ط(١) (الكويت: مكتبة آفاق) ٢٠١١م ، ص٢٤.

* *

قائمة المصادر والمراجع:

١- أشهبون ،عبد الملك (٢٠١١)العنوان في الرواية العربية ، ط(١) دمشق: محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع .

٢- الجزار، محمد فكري(١٩٩٨) العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي ط(١) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣- الجهني ،ليلي (٢٠٠٧) جاهلية ، ط(١) بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع.

٤- ربايعة ، موسى (٢٠١١) آليات التأويل السيميائي ، ط(١) الكويت، مكتبة آفاق.

٥- الزيتوني، لطيف(٢٠٠٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، ط (١)، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.

٦- الغيثي ، شتيوي (٢٠١١) قشرة الحضارة إشكاليات الثقافة السعودية وتحولاتها ، ط١،لندن، طوى للثقافة والنشر والإعلام .

٧- كورتيس ،جوزيف(٢٠٠٧) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ط (١) ،الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون.

٨- مفتاح ،محمد(١٩٨٥) تحليل الخطاب الشعري ، ط٢، ،بيروت ، المركز الثقافي العربي.

٩- نوسي،عبد المجيد(٢٠٠٢) التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، البنيات الخطابية التراكيب الدلالة ، ط(١)، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع.

* * *